بسم الله الرحمن الرحيم

(مخالفة الأكثرين أقرب إلى الحق من موافقتهم -١)

لقد عرّف الخالق من خالقهم سبحانه وتعالى، وبيّن عزّ وجلّ في عشرات الآيات أنّ أكثر الناس لا يؤمنون ولا يشكرون ولا يعلمون، وأنّ أكثرهم فاسقون، وأنّ أكثرهم لا يعقلون، وأنّ أكثرهم لا يؤمنون بالله إلّا وهم مشركون، وأنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله، وأنّ أكثر أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ما هم بمؤمنين رغم حرصه على هدايتهم، وأنّ أكثرهم معرضون عن الحق، وأنّ أكثر الناس يأبى إلا كفورا، وأن أكثرهم لا يتبعون إلا الظنّ، وأنّ أكثرهم للحق كارهون، وأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون، وأنّ أكثرهم يجهلون.

وفي مقابل الكثرة الضالة ذكر الله تعالى القلة الصالحة فقال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾، وقال تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾.

وقال رسول صلى الله عليه وسلم مما أوحى الله إليه عن الكثرة الضالة والقلة الصالحة في بعث النار: «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» أي في النار «واحد في الجنة»، وقال لأصحابه: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود» من حديث طويل اتفق على صحته البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «... والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار»، قال: «هم الجماعة»، قلت: لا الجماعات ولا الأحزاب ولا الفرق، ولو وصفت زوراً بالإسلامية، وفي رواية: «ما أنا عليه وأصحابي»، أنظر: (نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق هذه الأمة) للشيخ سليم الهلالي، ط. دار الأضحى في عمان عام ١٤٠٩هـ.

وفي صحيح مسلم: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس».

والروم (وهم العلج) كان أوروبا وأمريكا يقولون إنهم نصارى والحق بهم اليهود في العصور المتأخرة باعتبار حقيقة أن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام والبركة بعثا في بني إسرائيل وأنهما بعثا بإفراد الله بالعبادة ونفرا ممن سواه، ويسمّي النصارى التوراة: العهد القديم، والإنجيل: العهد الجديد؛ (Testament)،

وإن بقي العداء بين المنتمين إلى دين موسى وعيسى؛ فقد صرح لي بعض المثقفين في كندا قبل بضع وثلاثين سنة بأن الأفضلية في التوظيف لا تزال بحكمها حجم الأنف عند بعض جهات التوظيف.
وعندما ذكرت لأمريكي مثقف أمر الله بالعدل، قال: اليهود لا يؤمنون.
وانتشرت النصرانية في أفريقيا وآسيا وفي قارة استراليا وسائر جزر المحيط الهادي.
ولم تلتزم الوثنية البوذية والهندوسية وغيرها تنافس أو تغلب النصرانية بكثرة العدد (في الصين والهند وجنوب شرقي آسيا بخاصة) حتى اليوم إذا حصر الروم في الجنس الأبيض (الأبرق).
والمنتمون إلى الإسلام (آخر الأديان الإلهية) كثير، وإن لم يكونوا الأكثر، ولكنهم غثاء كغثاء السيل؛ لا لقلتهم أو تخلفهم الصناعي أو الزراعي أو الفكري أو التقني كما يظن كثير منهم، فلم يخلقوا للتنافس على شيء من ذلك، وإنما لتفرقهم وتمزيقهم دينهم بتعدد الجماعات والأحزاب والفرق والطوائف، وأشر من ذلك وبسببه: تلبس أكثرهم بالوثنية متابعة لليهود والنصارى واليونان، ومن ورائهم لهندوسية الهند، تقربا بهذه الوثنية إلى الله، وأعظم مظاهرها عند المنتمين للديانات كلها: دعاء من يحبون بأسمائهم المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة؛ أصل الأوثان والنصب والأصنام منذ بنى أجداد قوم نوح نصبا في مجالس صالحيهم كما في كتاب التفسير من صحيح البخاري وتفسير ابن جرير الطبري رحمهما الله تعالى وأسكنهما الجنة.
وقال الله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون • وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾.
ومن هنا لقد أدى إلى الله إلى حقيقة أن الكثرة أقرب إلى الضلال منها إلى الحق لم أخش مخالفة الأكثرية وحرصت على اتباع الدليل من الوحي بفهم السلف في القرون الخيرة لشهادة النبي صلى الله عليه وسلم بفضلها على سائر القرون ولصلة القربة بعهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه وصحابته والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم وأرضاهم، وبلغة القرآن والسنة، وبالنهج الأول سبيل المؤمنين، ولتوفر الأكثر ودعة الأقلون.
وفي المباحث: اتبعت الفطرة والعقل فاعتقني الله من التقليد

الدّيني والدّنيوي، والعتق منهما نعمة عظيمة لا يعرفها الذين يطالبون بالانعتاق من حدود الاتّباع، وهي في متناول أيديهم)
ومن أمثلة مخالفتي للأغلبيّة في أمور الدّين وفي أمور الدّنيا:
١) مجانبة، بل محاربة الجماعات والأحزاب والفرق والطوائف المحدثة، المخالفة لما كان عليه النّبيّ وأصحابه، وشرّها جماعة الاخوان المسلمين التي أصرّت منذ أنشئت على مشاقّة الله ورسوله وفقراء الأمّة الأوّل في منهاج الدّعوي (ولهو أساس وجودها) فنبذت أهمّ أمر وأهمّ نهي أرسل الله به كلّ رسل: الأمر بإفراد الله بالعبادة والنّهي عن صرف لغيره، فتجنبت ذكر أيّ منهما في أصولها (٠٠) ووصاياها (١٠) وموبقاتها (١٠) ومنجياتها (١٠) ومهلكاتها (١٠) وواجباتها العمليّة (٣٨) ومطالبها من الولاة (٥٠)؛ رغم أنها ذكرت: (تخفيف شرب الشاي والقهوة وتوحيد الزيّ وتنظيم المصايف) ورغم أنها ولدت وساحت بين الأوثان من المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة والشجر والحجر
٢) ولمّا رأيت معظم أفراد الدّعاة وجلّ مؤسّسات الدّعوة في كلّ مكان اجتالتهم شياطين الحزبيّة الاخوانيّة عن منهاج النّبوّة إلى منهاج البنّا وسيّد قطب (المبتدع الضالّ المضلّ) الذي يشغل المسلمين بالمهمّ (في أحسن الأحوال) عن الأهمّ من شرع الله بالتحفظ عن التّدبّر والعمل، وبالظنّ عن اليقين، وبالفكر عن الوحي وبالحوادث والطوارئ عن أحكام الحلال والحرام في شرع الله (اعتقادا ثمّ عبادة ثمّ معاملة)؛ لما رأيت لهذا الضلال المبين والمنهج الشيطاني يغلب ذوي الألباب، ويطغى على مؤسّساتهم وأفرادهم، ويبعدهم عن النّصح والفقه فيمن أهلّ الأوّل، ويشغلهم بمحاربة إخوانهم (الذين أمرهم الله بطاعتهم) عن مقاومة أنفسهم الأمّارة بالسّوء وشياطينهم التي تجري منهم مجرى الدّم؛ جعلت أكبر همّي نشر توحيد الله بالعبادة ونصرته، ومحاربة الشرك بالله في عبادته وما دون ذلك من الابتداع في الدّين.
٣) ومن أجل ذلك حذّرت من مصطلحات الحزبيّة الاخوانيّة المغراة على شرع الله مثل: (الفكر الإسلامي) عوضا عن الفقه الأوّل في الدّين. وتتبع فرية الفكر الإسلامي فرية الفنّ الإسلامي، والعمارة الإسلاميّة والنادي الإسلامي والمدرسة الإسلاميّة والمستشفى الإسلامي والحزب الإسلامي والمقاومة الإسلاميّة

إلى آخر منظومة الترويج التجاري الحزبي باسم الإسلام المنزّه عنه.

ومثل فرية (الفكر الإسلامي) انطلت فرية: (السياسة من الدين) تسويغاً لركوب الحزب الإخواني الضالّ اسم الدين وطيّة للوثوب على السلطة في كل بلد عربي أو مسلم، ولا شك أنّ السياسة المعروفة (أي العلاقات بين الدول ومصدرها وسائل الإعلام) ليست من الدين، فلا يجوز أن ينسب إلى الدين والإسلام إلا ما أوحى الله به إلى رسوله بفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم في القرون الخيّرة، فهو السياسة الشرعيّة التي فارقها الحزب الإخواني وسمّاها: (علم الوضوء والغسل والحيض والنفاس) تنفيراً منه ومن علمائها، وهو حسب أنه يحسن صنعاً، تجاوز الله عن مقترفيه.

٤) ومن أجل ذلك حذّرتُ من الانشغال بتجويد القرآن وحفظه وحفيظ عن تلاوته حقّ تلاوته، أي: بتدبّره والعمل به وتبليغه.

وقبل أن يقول الشيخ ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله بأنه لا دليل على لزوم ما سُمّي بأحكام التجويد (وإن زادني قولهما يقيناً)، تقرّبت إلى الله بحذف مقرّر التجويد من المدرسة التحريريّة التي أنشأتها قبل ٣٥ سنة بموافقة وزارة المعارف للتعليم العام دون المرحلة الثانويّة، وكان أهمّ أسسها: تَرْك الالتزام بما لا يلزم شرعاً ولا عقلاً. وخالفت الأكثريّة بالتزامي ودعوتي إلى الوقوف على رأس كلّ آية، وعدم وصل آية بآية مهما ارتبطا في المعنى، استجابة لقضاء الله وسنّة رسوله، وعدم تكرار جزء من الآية لربطه ببقية الآية في أكثر الأحوال، فلا دليل على الالتزام بذلك وإن التزم به المتأخرون، والحرص على ذكر الله بعد قراءة كلّ آية بما تناسبها من ثناء أو دعاء أو استعاذة في الصلاة وخارجها، وفي الفرض والنفل، اقتداء بما أورده الألباني من الأحاديث والآثار في مؤلفه الفريد (صفة صلاة النبيّ صلى الله عليه وسلم) جزاه الله خير الجزاء، ولكنه مات رحمه الله وهو يقرأ كتاب الله قراءة مجلّد ضروباً من مزاحمة التقليد بالدليل من الكتاب والسنّة وفهم فقهاء السلف في القرون الخيّرة، بل أعدّه المجدّد الثاني بعد ابن باز رحمهما الله وأسكنهما الفردوس من الجنة في الالتزام بالدليل والدعوة إليه، وأعدّه الأول في نشره.

٥) ومن أجل ذلك زاد إيماني بالله وشكري وحمدي له لفضله علي ولآبائي وعلمائنا وفضله بهم علينا، ودعائي لأولهم وآخرهم كلّ ليلة والتذكير بما تفضّل الله به عليهم من تجديد الدين ثلاث مرات في

القرون الثلاثة الأخيرة ولهدم الأوثان وإزالة ما دونها من البدع
ولهو ما لم تفعله دولة مسلمة منذ الفاطميين، ولا تزال السعودية
بفضل الله عليها لا تبني فيها مسجداً على قبر، ولا يقوم فيها مشهد
ولا مزار ولا مقام، ولا ضريح ولا تبنى على قبر أحد من الولاة ولا
العلماء ولا سائر الرعية، ولا يقام مولد ولا تعمر أعياد دينية غير عيدي
الفطر والأضحى، وتحكم فيها بشرع الله في كل مسائل الاعتقاد والعبادة
وفي جل مسائل المعاملات، منذ ثلاثة قرون.
ولكني خوفاً من الوقوع فيما وقع فيه الطرقيون والحزبيون والوثنيون
من تقديس البشر، تجنبت زيارة العلماء (فضلاً عن الأمراء) بحجة
أنهم في حاجة إلى وقتهم والناس في حاجة إليه للعمل الصالح النافع،
ولندرة الزيارات تضيع وقتهم، ومرة قدمت من سفر أمام نحو سنة فتهيأ
لي حضور درس ابن باز بعد الفجر، وفي اليوم نفسه بتقدير الله سألت
أخي ابراهيم رحمه الله (وقد لازم ٩ سنة) عني فذكر له أني كنت في
درس صباح اليوم، فقال: لهذه عادة لا تتكلف حتى سلام السفر،
ولهذا يصح بيني وبين أشقائي فلم نتكلف وداعاً ولا استقبالاً أبداً.
ومع أني لا أعرف خيراً من ابن باز في الجمع بين العلم والعمل وخلق
الصبر والتواضع والكرم والسماحة، وأني لا أصاحب نابهاً إلا قد رأيت
الرد عليه عدة مرات لأستفيد من قبوله الرد أو رفضه وليرى طلاب
العلم مجرد احتمال خطأ العالم وطالب العلم، وأنه لا عصمة إلا لرسول.
وفوق ابن باز بدرجات: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وقد منّ
الله به وبآل سعود على الأمة إذ جدد الله بهما الدين في القرن (١٢) وهدم
بهم أوثان الجزيرة وسائر بدعها ونشر بهم التوحيد وقهر بهم الشرك،
وحول الله بهم وبآل سعود بلادنا إلى قدوة صالحة تقفو مثلها السنة،
ومع ذلك كتبت إلى جهات الاختصاص باقتراح عدة ملاحظات على
(نواقض الإسلام) و(العقيدة وما يضادها) لابن باز التي نشرتها،
قبل أن أقرأ ملحوظات الشيخ صالح الفوزان والشيخ عبد العزيز الريس
على النواقض، وازدت بملحوظاتهما يقيناً جزاهما الله خير الجزاء.
٦) ومن أجل ذلك محّصت بعض الأقوال التي يردها طلاب العلم
رواية عن بعض الفقهاء والأول قبل الأخذ بها لما قام وما ورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم: «هو رجس نذيس»، فقد ظننت أن أكثر طلاب العلم
يفهمونها بمعنى التدنيس، ولازلت أظن الدندنة في كتب اللغة وفي
الشرع تعني: الذكر بما فوق الإخفات ودون الجهر كما في قول الله

تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ بحيث يُسمِع الذاكر نفسه ولا يؤذي غيره، يُسمِع غيرَه صوته ولا يتبيّن ما يقول، بل كان القريب من النبي صلى الله عليه وسلم يسمع قراءته في الصلاة السِّرّيّة التي لا يجهر فيها الإمام بالقراءة.

وقد بدأ الناس في جزيرة العرب منذ بداية هذا القرن يعتادون طريقة الأعاجم في الصلاة فلا يتحرّك لسان المصلي ولا شفتاه بقرآن ولا بغيره من الذكر ثناءً أو دعاءً أو غيره، وينفر أكثر الناس من سماع صوت المأموم أو قارئ القرآن مهما كان خافتاً.

وخالفت الأكثرية فأحسنت نفسي القراءة والدعاء وغيرهما من الذكر.

وسبق أن بيّنت مخالفتي لما رُوي عن بعض الفقهاء الأوّل فمن دونهم مثل: الاستدلال بكثرة المشيّعين على نصيب المشيّع من الحق، وحفظ الله للجواحي في الكبر بحفظها في الصغر، ولا أظن المثلين يصحّان بصيغتهما المتداولة ممّن نُسبا إليه. وأن الله لا ينجي من الهلاك إلا المصلحون لا الصالحون، وأن الله لا يقول: ﴿عبادي﴾ إلا عن المؤمنين مع أن الله قال: ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ وقال تعالى ﴿وعبدين من عبادنا صالحين﴾ عن نوح ولوط عليهما السلام وهما المصلحان.

٧) وخالفت الأكثرين في الأمور الدنيوية، فلم أتصل بأحد وطلب يتصل بي بعد صلاة العشاء منذ أكثر من ثلاثين سنة.

وخالفت الأكثرين فلم أتناول الطعام أو الشراب وفق التوقيت الصناعي بل تركت التوقيت للفطرة والحاجة فاكتفيت بأكلة واحدة كما كان الناس يفعلون قبل أن تغلبهم الثقافة الصناعيّة.

وخالفت الأكثرين في معنى الكرم وهو عند أكثر العرب لا يتجاوز إطعام الطعام لمن يُرجى منه المكافأة بالمثل، والله تعالى يقول: ﴿ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ● إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ فضلاً عن مخالفة قياس الكرم بجمع آليّة الحروف للزينة لا يؤكل منها شيء، ثم يُرمى في الزبالة بعد أن زادت نسبة الدهون في الطعام بلا نصيب من الشرع ولا العقل ولا الرحمة ولا السداد.

وخالفت الكثيرين في اهتمامهم بالشكل عامّة وتبذير المال الذي استخلفهم الله فيه لينظر كيف يعملون في متابعة تغيّر أشكال السيارات والمساكن والملابس والأثاث والآلات.

هدانا الله جميعاً لأقرب من هذا رشداً. ١٤٣٣/٣/١٤.